نماذج عن تطابق الآثار المصرية والرسوم الصخرية بالصحراء حول تاريخ المغرب القديم.

د. أم الخير العقون*

مقدمة

إذا كانت بلاد المغرب القديم خالية مما يمكن اعتباره وثائق حول تاريخها قبل نزول الفينيقيين والإغريق على أرضها، فانه أمام عجز أسلافنا في التوصل إلى وسيلة لكتابة مثل هذه الوثائق*، فقد خلّفوا لنا بالمقابل إرثا عظيماً، من الفن الجداري أو ما يعرف بالرسوم الصخرية المصاحب أحيانا لبعض الرموز، وهذه الرسومات قليلة بجوار المناطق الساحلية وتكثر بالمناطق الداخلية مثل مرتفعات الأطلس الصحراوي، وهي غزيرة في الجنوب على مرتفعات التاسيلي والهقار...

وقد كانت هذه الرسوم الوسيلة الأولى التي استعملها سكان المنطقة في التخاطب والتواصل طيلة آلاف السنين، فإذا أخذنا على سبيل المثال رسومات مرحلة "رعاة البقر" (وتسبقها مرحلة الصيادين)، وهي أصيلة خالية من كل تأثير يؤرّخ لها استنادا إلى عظام الحيوانات المترسبة في مواقع الرسم بحوالي ٥٥٠٠ ق.م يمكننا القول بأنه ابتداء من الألف السادسة قبل الميلاد لم ينقطع عطاء أسلافنا، فرسموا الآلاف من اللوحات، هي مصدر خام، فإن لم تكن وثائق تاريخية مدونة فنحن في [illegible] وثائق أثرية.

وفي تطور وتسلسل مواضيع هذه الرسومات، نجد أنفسنا أمام حلقات تشهد عن التطور الحضاري لأصحابها، فتمدنا بصور عن التميز الحضاري الذي عرفه المغرب القديم بامتداده الطبيعي للصحراء الوسطى، وتمدنا بصورة مختلفة تتعارض مع تلك التي كثيرا ما يقدّمها بعض الكتاب المعاصرين حول التأخر والعجز الحضاري لبلاد المغرب، وبقاءه في غياهب العصور الحجرية لغاية وصول البحارة الفينيقيين إلى المنطقة. ولقد استقى هؤلاء الكتاب معلوماتهم من بعض المصادر الكلاسيكية التي أعطت صورة مشوهة للحقيقة، في حين أن هناك مصدرا أقدم وأقرب من الناحية الجغرافية (إقليميا) والاثنية، وربما اللغوية من أهل المنطقة، هو المصدر المصري.

---

*كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلاميةقسم التاريخ و الآثار.جامعة وهران.

* ظهرت محاولات أولى لاستخدام كتابة تصويرية ليبية في الصحراء الوسطى (و منها تطورت كتابة التيفيناغ) و كانت مصاحبة للرسومات الصخرية في مرحلة العربات والفرسان، ويؤرخ لها في ما بين ١٣٠٠ و ١٢٠٠ ق.م، كما ترى :

-Malika Hachid « la plus ancienne écriture de l'Afrique du Nord,Le Lybique a plus de 3000 ans d'age » in www.agadez.org. Consulté le 12/07/2005.

- المصدر المصري:

إن هناك أكثر من شهادة ودليل على أن سكان المغرب القديم (الأقوام الليبية) كانوا على اتصال دائم ومستمر مع أصحاب أول حضارة تميزت في العالم القديم (الحضارة المصرية)، وقد بدأ ذلك منذ فجر التاريخ أو ما قبله بكثير...

فالآثار المصرية وإن تناولت جيرانها في الغرب (المغرب القديم)، لهدف يخصّها فإنها بطريقة غير مباشرة تغطي جزءا مهما من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ وكيف عاشها أسلافنا الليبيون، وان تعرضت للأقوام القريبة من النيل ودلتاه، فالحقيقة أن الحياة كانت موجودة في مضارب أخرى عديدة، في قلب الجبال وفي الصحراء، وإلى جانب الأودية الكبرى مثل وادي الساورة، إيغرغر التافساست، التامنغست.. (وهي أودية جافة في الوقت الحاضر، وكلّها موجودة في الصحراء الجزائرية الآن). وكان للحضارة في هذه المضارب فعاليتها وقوتها، وأثبتت الرسوم الصخرية، في الصحراء الوسطى، مقارنة بما ورد على جدران المقابر والمعابد المصرية، أن الأقوام التي جابت ليبيا (المغرب القديم) من النيل شرقا إلى المحيط غربا، وإن اختلفت في الصفات، والملامح فإنما كانت من سلالة واحدة. وقد لاحظ قدامى المصريين، الوحدة العرقية لهذه القبائل.

غير أنه من المختصين من يعيب هذا المصدر، فهذا الأثري الانجليزي "أوريك بيتس يرى بأن تاريخ الليبيين قبل هيرودوت يجب أن لا يدعى تاريخا.[1]

و إن كنّا نعتقد بأن الكتابات اليونانية، و خاصة في بدايات اتصالها بالعالم الأفريقي لم تعن إلا بما كان محاذ و قريب من مستعمرتهم في برقة، متجاهلين وغير آبهين بما كان في عمق البلاد المغربية وإن دفع بعضهم الفضول، لم يفلحوا كثيرا لكونهم غرباء عن المنطقة في اللغة والعادات والتقاليد. كما أن لجوءهم للفينيقيين للتحري عن الحقائق لم يأت بنتيجة أمام تكتم هؤلاء.[2] فأبو التاريخ هيرودوت (٤٨٠-٤٢٠ق.م) الذي يعد وصفه لسكان المغرب القديم من أقدم المصادر الكلاسيكية من حيث تناولها بشيء من التفصيل، خاصة فيما يتعلق بصفاتهم وبعض أنواع نشاطهم يشير في كتابه الثاني الخاص بمصر، أكثر من مرة لجيرانها في الغرب. أمّا التفصيل فنجده في كتابه الرابع في ثلاثين ٣٠ فقرة.

و مقارنة بما ألفه غيره فإن هيرودوت يعتبر أوفاهم، لكنه على الرغم من ذلك تبقى معلوماته لا تشفي الغليل، إذ نجد أنفسنا بعد تصفح الكتاب لا نعلم إلا القليل من عادات القبائل الليبية التي أذهلت واستشعرت فضول الكاتب. ويجهل الكثير من الأمور

---

[1] O.Bates : The eastern libyens.London: Frank Cass & co LTD, 1970..P210.

[2] العقون أم الخير: الليبيون، وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، جامعة وهران.....ص ص ٥٧- ٥٨.

الأساسية عن هذه القبائل. وكثيرا ما يميل إلى المبالغة، والمغالاة، ويربط أحيانا بين ما يراه في البلدان التي زارها من ممارسة الطقوس والمعتقدات الدينية، وبين ما هو موجود في بلاده. فتصل المعلومة مزيفة، وربما عن حسن نية، أما عن الصحراء فهو نفسه يقر بأنه يجهل كل شيء عنها.

أما الآن سوف نعرض نماذج من الرسوم الصخرية تبيّن لنا مدى تطابق وصدق ما جاء في الآثار المصرية حول سكان المغرب القديم.

أولا: أصل السكان .

في إطار حديثهم عن سكان المغرب القديم (ليبيا)يكاد يتفق الكتاب القدامى من إغريق و رومان حول الأصل الأجنبي للسكان أو على الأقل لجزء منهم . ويلجأ هؤلاء إلى سرد الأساطير لتبرير وجود بعض الملامح و الصفات التي بدت لهم غريبة في قارة إفريقيا، مثل الشعر الأشقر و العيون الزرقاء، فقالوا بأصل شمالي Nordique [1] . و لقد استغلت هذه الادعاءات في التاريخ المعاصر لنشر بذور التفرقة و التجزئة بين أبناء الشعب الواحد.

فهذا هيكاتيوس (القرن السادس ق.م) يعتقد بأن أصل سكان ليبيا من الأيونيين الذين نزلوا ناحية سيبوس Cybos (بين بنزرت التونسية، وعنابة الجزائرية حاليا). في حين يرى هيرودوت بأن قبيلة الماكسيز Maxyse(تونس)، تكون قد نزحت من طروادة، و استقرت بالمنطقة[2] .

أمّا المؤرخ اللاتيني سالوست Salluste (القرن الأول قبل الميلاد) فيعتقد بأن الميديين و الأرمن اختلطوا مع الليبيين،و كوّنوا النوميديين المستقرين، في حين اختلط الفرس بالجيتول و منهم جاء الموريون الرّحل، دون أن ينسى التأكيد على أن الليبيين والجيتول (السكان المحليون) متوحشون كالحيوانات[3]. في حين يرى الجغرافي اللاتيني بطليموس (القرن الثاني ميلادي) بأن قبيلة إنتي Iontii في شمال نوميديا إلى الغرب من طبرقة(تونس)أصلها من الأيونيين الذين أنشأوا مدينة لهم هناك [4] .

و نلاحظ بأن هذه الآراء تتجه جميعها إلى حدوث هجرات و غزوات أجنبية في تاريخ موغل في القدم على شمال افريقيا، فنتج عن ذلك الغزو الشعبَ الليبي ككلّ، أو على أقل تقدير جزءا منه. غير أن المصدر المصري و كان أقرب من سكان المغرب القديم، و تربطه بهم صلات حضارية عريقة فيخبرنا عن قبائل ليبية، و إن

---

[1] G.Camps : les Bèrberes « memoires et identitées » 2 ed, edition Erance ,1987.P22

[2] Hérodote :Histoires ,textes etablis et traduits par PH.le Grand, Tome IV,les Belles lettres,1945,para 191, P193

[3] Salluste, Guerre de Jugurtha, Para 28,dans historiens romains edit. Gallimard 1968,P 685.

[4] G.Camps : OPcit , P17 & J.Desanges : les proto-berberes in « Histoires generales de l'Afrique » tome II : Afrique Anciennes,Paris :Unesco,1987P459.

اختلفت في الصفات الجسمانية الظاهرة أو بعض المقومات، إلا أنها من أصل واحد. ويؤكد أصالة البشرة البيضاء و العيون الزرقاء والشعر الأشقر، بين معظم هذه القبائل.

لقد كان أول اتصال للمصريين بقبيلة التمحو الليبية التي يحمل أفرادها هذه المواصفات في نصوص الدولة القديمة، إذ ذكرها قائد الجيش المدعو " أوني" في عهد الفرعون بيبي الأول (الأسرة السادسة حوالي ٢٤٠٢-٢٣٧٧ ق.م) ثمّ تلى ذكرها بعد ذلك على لسان النبيل " حرخوف" حاكم مقاطعة اليفنتين[1]، و لم ينقطع ذكرهم بعد ذلك.

أما الآثار المصرية فقد احتفظت لنا بصورة هؤلاء التمحو منذ فترة أقدم تعود للأسرة الرابعة (حوالي ٢٦٨٠-٢٥٦٠ ق.م) فقد ظهرت إحدى زوجات الفرعون خوفو على جدران مقبرة ابنها الأمير " خوفوشاف" بنفس مواصفات التمحو[2] . ويخبرنا عالم المصريات الأمريكي جون ويلسون، بأن الأميرة حتب حيرس الثانية ابنة الملك العظيم خوفو كانت شقراء ذات عينين زرقاوين، يتخلل شعرها الأصفر الذهبي خطوطا حمراء دقيقة (على جدران مقبرة إحدى ملكات الأسرة الرابعة).بينما باقي سيدات المقبرة، وفي سائر الجبانة، باللون الأسود المعتاد[3] .

و كذلك ظهرت ابنة حتب حيرس الثانية بلون بشرة بيضاء ناصح، و شعر أشقر، وهي تحلي جبينها بخصلة شعر قصيرة مثل التمحو.[4]

و يعتبر عصر الدولة الحديثة في مصر، من أهم الفترات التي خلفت لنا من المصادر المكتوبة و المصورة، الكثير حول الليبيين، فذكرت قبائل غير التمحو ومنها الربيو و المشواش. و كل أفرادها من ذوي البشرة البيضاء، إلى جانب قبيلة التحنو، ذوي البشرة السمراء .

أما إذا انتقلنا إلى متحف الهواء الطلق تاسلي-إن-أجار و الأهجار، و غيرهما من مواقع الرسومات الصخرية، فيتفق المهتمون بهذا الفن الجداري أن الكثير منها من إنتاج أقوام بيضاء (مرحلة الصيادين). وتمثلهم الرسومات وهم يلبسون ساتر العورة، و يضعون الريشة على رؤوسهم، و كان سلاحهم: القوس والرمح، والدرع[5] .

ويجزم "لوت" بأن رسومات وادي جرات (تاسيلي)، وكذلك تلك الموجودة جنوب وهران (الأطلس الصحراوي)، لا يوجد بها أثر للعنصر الزنجي،و كلها للعنصر الأبيض (Europide).[6] لكن هذا لا يمنع وجود رسومات أخرى ترجع لمرحلة تعرف

---

[1] E. NewBerry : Ta Tehnu, « Olive land » in anciant Egypt,Cairo ,1915. ..PP 101-102.

[2] A.Fakhry, The Egyptian Desert Volume I « Bahria Oasis" ,Cairo:Boulaq Government Press,1942..P07

[3] جون ويلسون، الحضارة المصرية: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥،ص ١٧٧

[4] A.Gardner : Ancient Egyptian anomastica ,Oxford Unv Press,1945.P 115.

[5] A.R.Wilcox : The Rock Art of Africa ,H.M.Holmes et Meier publisher inc. New .York 1984, P 44

[6] H.Lhote : les Gravures rupestres de oued jaret(Tassili-n-ajjer)memoires CRAPE,tome II, Paris1976, P110.

باسم " أصحاب الرؤوس المستديرة" و هي من انتاج أقوام زنجية . و هذا ما أكدته الأبحاث الميدانية، لشاملا Chamla، حول الهياكل العظمية، التي تبيّن بأن ٤١ بالمائة* من مجموع عينة الجماجم التي درسها، خال من الصفات الزنجية. وتمثل الانسان المتوسطي، وهو النموذج الغالب في الصحراء الوسطى، وغير موجود في المناطق المحاذية لها من الجنوب. وأن رجل التوارق الحالي ينحدر من هذا الأصل الذي يتميز بطول القامة، متوسط البنية، مستطيل الرأس، نحيف الوجه. أما الأنف فهو مستقيم، و طويل الأطراف[1] .

وهذا يعني أن سكان المنطقة ليسوا فقط من السود (سمر البشرة)، وإنما أيضا احتوت نسبة عالية من بيض البشرة التي يزعم جمع كبير من الدارسين أنها من تأثير أقوام شمالية غزت شمال إفريقيا. فهذه الرسومات الصخرية التي تعود للألف السادسة والخامسة ق.م.، و كذلك الآثار المصرية، التي تعود إلى منتصف الألف الثالثة، كلها تؤكد أصالة البشرة البيضاء في المنطقة قبل ظهور شعوب البحر (الإيجيين) على الساحة بكثير..

ثانيا – الأزياء

من أقدم الآثار المصرية التي وصلت إلينا مرسوم عليها أسلافنا الليبيون هي صلاية الأسد والعقبان، وهو أثر يرجع في تاريخه إلى العصر الثيني في مصر (أي قبل تأسيس الأسرة الأولى). وفي هذا الأثر يظهر الليبيون عراة إلا من جراب العورة (Etui phallique)، ويعتبر هذا الجزء من اللباس من أهم سمات الزى الليبي طوال العصور التاريخية اللاحقة.

واذا تتبعنا الآثار المصرية عبر مراحل تطورها، نلاحظ بروز مظاهر وأشكال جديدة، منها الشعر الطويل، واللحية المدببة. كما نتبيّن مدى اهتمام أسلافنا بكيفية وتنوع تسريحات الشعر، والتي في الغالب تميّز قبيلة عن أخرى. وكذلك نتبين كيفية تثبيت الريش على الرأس أو تزيين الأذرع والسيقان بالوشم، وأيضا كيفية تثبيت المعطف الخارجي على الكتف، الذي حرص أصحابه على تنسيق ألوانه...

جراب العورة :

كما أسلفت فان هذه القطعة من اللباس، هي الأساس عند معظم القبائل الليبية (تحنو، تمحو، مشواش) باستثناء قبيلة الريبو. لذلك اختلف الأثريون و المختصون حول مسألة ارتداء هذه القطعة من الثياب وعلاقتها بعملية الختان؛ فاعتبروا أفراد قبيلة الريبو، غير

---

* كما وجد نسبة ٢٥ بالمائة لنموذج زنجي،و ٣٣ بالمائة لنموذج ثالث مختلط صفات زنجية وأخرى غير زنجية.

[1] M.C.Chamla :les pouplations anciennes du Sahara et des regions limitrof in Mem.CRAPE IX,Paris,1968...P 200-202.

مختتين لعدم ارتدائهم جراب العورة. غير أنني أعتقد في عدم صحة هذا الرأي، لأن الفرعون رمسيس الثالث عاقب المتحالفين الريبو والمشواش على السواء، بقطع عضو التذكير، و هو عقاب يسلط على النجسين غير المختتين،على الرغم من أن المشواش كانوا يرتدون جراب العورة كما تبين الصورة رقم ١.

لقد أثبتت الرسوم الصخرية في كل المغرب القديم بأن هذه القطعة من اللباس تعود في قدمها إلى العصور الحجرية وأنها كانت من الجلد، و تظهر بجلاء في رسومات على جبال الأطلس الصحراوي مثل لوحة "فجة الخيل" بقسنطينة (شرق الجزائر)،و تمثل رجلا بظفائر منسدلة، وله لحية قصيرة، يرتدي جراب العورة، و يتبعه كبش على رأسه قرص. و أيضا في جنوب وهران، و يبدو الرجل فيها من النوع المتوسطي، كثيف الشعر، يحتفظ بخصلات على الجبهة، له لحية مدببة، و يظهر جزء من جراب العورة في مكان التقاطع بين الجذع و الفخذين و ذيل الحيوان فمرسوم بخط متقطع.

أما لوحة رجل "عين ناقة" بـــ"الجلفة" فكان يرتدي جراب العورة، و له شنب و لحية، ويحتفظ بخصلة شعر على الجبهة، وسلاحه القوس، والرمح. أما تقاسيم وجهه، فتضعه في مجموعة الرجل المتوسطي (أنظر الصورة رقم٨ و ٩).

و مثل هذه الرسومات منتشرة بكثرة في الصحراء الوسطى، فهناك لوحة بوادي جرّات لمحارب ليبي يرتدي جراب العورة و على رأسه ثلاث ريشات .(أنظر الصورة رقم ٢) و ألواح أخرى يرتدي أصحابها جراب العورة، ولهم شعر كثيف، و لحية مدببة، و يقربهم الباحثان هوارد و لوكلان بأفراد قبيلة التحنو التي تحمل نفس المواصفات.[1]

الرداء الخارجي (العباءة):

نصادف بوادي الملوك بالأقصر، منظرا يُبيّن الليبيين ضمن شعوب العالم الأربعة. و يرجع إلى عهد الفرعون سيتي الأول (الأسرة ١٩). وفي هذا النقش، ظهر أربعة أفراد من الشعب الليبي ذوي البشرة البيضاء (القبيلة الوحيدة التي تميز أبناؤها بالبشرة السمراء هي التحنو).

وكان الجديد في أزياء الليبيين، هو أن الرجل يطلق لحيته، و يربّي شاربه في أن واحد، بالاضافة إلى الريشتين على الرأس . أما ملابسهم فكانت عبارة عن عباءة فضفاضة تغطي الكتف الأيمن و أعلى الذراع ثم تعقد على الكتف الأيسر بعقدة عريضة. في حين يترك الذراع مكشوفا، و تحتها يظهر جراب العورة. وبالتالي نخمن

[1] .Huard & Leclant : la culture des chasseurs du Nil et du Saharra in Mem.CRAPE,Tome II,Alger,1977..P520. & S.Gzell,Hitoires Anciennes de l'Afrique du nord,Tome VI: "les royaumes indigenes,Reimpression As Nabruck,1972 : Tome VI p 22 p31

أن هؤلاء من المشواش، لأن الرّيبو لا يرتدون جراب العورة. (صورة رقم ٣)، و هي تشبه إلى حد كبير لوحة رسمت في موقع تاهيلاهي Tahilahi(تاسيلي-أن-آجار) تبيّن جماعة من الرجال بنفس المواصفات: اللحية المدببة، والريشتان المثبتتان بنفس الطريقة..[1] (الصورة رقم ٤)

و تجدر الإشارة إلى أنه تم العُثور في نواحي مدينة بسكرة (الجنوب الشرقي)على رسوم صخرية لأشخاص يرتدون جلود حيوانات مثبتة على كتف واحدة، أي بنفس الطريقة التي كان يتبعها الليبيون في ارتداء عباءاتهم. و يتبادر إلى الذهن بأنهم قد استبدلوا جلود الحيوانات في العصور الحجرية وفجر التاريخ بعباءات من الكتان في العصور التاريخية. (الصورة رقم ٥).

كما استخدم سكان المنطقة في الحروب اليونيقية رداء فوقي" Pardessus"مصنوع من الصوف عوض الجلد في عصور سابقة[2] . ومازال ليومنا هذا يشترك سكان معظم أقطار المغرب العربي (ليبيا- تونس- الجزائر..) في لباس فوقي يشبه عباءة أسلافنا نسمّيه في الجزائر البرنوس، Burnous و إن اختلفت أطواله و طرق لبسه بين هذه الأقطار...

<u>الريشة:</u>

إن الريشة من العناصر التي حرص فنانو العصور الحجرية، حتى عندما اتبعوا الأسلوب الرمزي، و استغنوا عن الكثير من التفاصيل الأساسية في رسم جسم الإنسان، إلا أن الريشة أو بضع ريشات بقيت شامخة فوق رؤوس سكان المنطقة منذ أقدم المراحل (مرحلة الصيادين) إلى غاية أحدثها (مرحلة العربات و الفرسان)...

و الريشة منتشرة بكثرة في رسومات الصحراء الوسطى، وكذلك مرتفعات الأطلس الصحراوي، ولا نجد ضرورة لذكر اسم لوحة معينة أو موقع بعينه، لان معظم الرسومات متوّجة ببضع ريشات مثبتة بطريقة خاصة أو بعشوائية تامة (مثل الصور رقم ٢ و ٤ و ٥ و ٨).

ولذلك اعتقد المشاهد البسيط، و ربما المتخصص نفسه بأن عادة وضع الريش على الرأس كان للزينة لا غير...لكن بالرجوع إلى المصدر المصري و الاستناد إلى صوره و نصوصه، فإنها تفصح لنا عن حقيقة أخرى غير الزينة...

تبين الآثار المصرية بأن الليبيين، اتبعوا طرقا و أساليب مختلفة في تصفيف الشعر، وعليه ريش النعام يثبتونه في الرأس بأساليب ميّزتهم في القبيلة الواحدة. وكذلك ميّزتهم عن غيرهم من الشعوب التي تضع الريش على رؤوسها مثل الزنوج. والليبيون

---

[1]-K.H Stritter et M.Tauveron : milieux, hommes, et techniques du sahara prehistorique « problemes actuels », Paris, L'harmatton 1994. P65.

[2] S.Gzell : Op-cit , Tome VI , P 26

الأوائل ثبتوا الريش بشكل منحرف كما توضحه الرسوم الصخرية في العصور الحجرية، وكذلك على الآثار المصرية .

و لقد تنّبه المصري القديم لهذه الخصوصية، لذلك نجد في الكتابة المصرية القديمة أولى العلامات الدالة على الغرب صورة الرأس عليه ريشة كرمز يدل على الكلمة المصرية القديمة " إمنت" أي غرب.

ولقد بقيت هذه التقليعة (وضع الريشة) ملازمة لكلّ القبائل الليبية باستثناء قبيلة التحنو في الدولة القديمة. و يبدو من النصوص المصرية اللاحقة، أن الريش كان علامة شرف تميّز صاحبها. ولذلك نعتقد بأن عدم وجودها على رؤوس التحنو في الدولة القديمة في أثر الملك العقرب و ختم الملك نعرمر، ثم رسومات معبد الفرعون ساحورع، فهذه كلها تمثل مشاهد انهزام التحنو.

والنصوص المصرية تؤكد في السطر السادس من لوحة اسرائيل في عهد الفرعون مرنبتاح (الأسرة ١٩) الذي انتصر على الأمير الليبي "مري بن دد": "....الرئيس الخسيس لليبو الذي فرّ تحت جنح الليل وحيدا بغير ريشة فوق رأسه"[١]. و في موضع آخر "إن الحظ اختطف من الزعيم مري بن دد ريشته"[٢] . و النصان يشيران إلى العلاقة الوطيدة بين الريشة وحالة الشخص، فعدم وضعها يشير إلى إنهزامه، و كذلك كان حال التحنو في الدولة القديمة..

لكن الريشة بقيت واضحة بعد ذلك على رؤوس التمحو، والريبو والمشواش على جدران المعابد والمقابر المصرية القديمة، في حالات السلم، وقلّما نجدها في مناظر تمثل معارك .

و لما انهزم المشواش على يد الفرعون رمسيس الثالث، نكّسوا الريشة فوق رؤوسهم، فأصبحت أفقية مع رؤوسهم*، عكس الريبو الذين إحتفضوا بها منتصبة عمودية. و يعلل يويوت ذلك: "بأن الريبو نزلوا متأخرين إلى الدلتا المصرية، بعد إقامة دولة المشواش"[٣].

---

[1] ألن جاردنرز مصر الفراعنة، ترجمة: نجيب ميخائيل،ط٢، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧.ص ٣٠١

[2] ألن جاردنر نفس المرجع،ص ٤٢٧

* كما تبينه لوحة النصر للملك بي عنخ معروضة بالمتحف المصري تحت رقم ٤٨٨٦٢ــ، الركن الشمالي الغربي من اللوحة، تبين زعماء المشواش وهم ساجدون والريشة منكة، فتظهر أفقية على الرأس.

[3] J.Yoyotte,les Principautés du Delta au temps de l'anarchie libyenne, melanges maspero,T 66,le caire :IFAO,1961. P123.

وبقي الليبيون متمسكين بتقاليدهم و رموزهم، فحافظوا على الريشة فوق رؤوسهم،وقد أشار الملك الكوشي– بي عنخ–" لأمراء الأسرة ٢٣الليبيين"الأمراء الليبيون الذين على رأسهم ريش".[١]

وهكذا فقد بينت لنا الآثارالمصرية كنه وسر هذه الريشة، إذ كانت رمز شرف الليبيين في أوقات السلم و الحرب حيث اختص بها علية القوم، لغاية القرن ٦ ميلادي، فقد وصف كوربيوس Corripus الزعماء الليبيين بـــ Pinnatus بمعنى الأمراء الذين يضعون الريش على رؤوسهم.[٢]

إشارة إبعاد الشر Manu carrnuta

وهي إشارة معينة باليد ترفع في وجه الأعداء، وتستخدم لإبعاد الشر، يتم فيها لف الأصابع بحيث تعطي اليد إشارة على هيئة قرن أو أكثر، وتظهر مثل الحرف اللاتيني Y، وكانت هذه الإشارة تعمل إما بإبهام اليد والأصابع الأمامية، أو بالإبهام والأصبع الصغرى، وتُشهَر في وجه العدو. وينسبها عدد من الباحثين إلى شعوب البحر لانتشارها الشائع بينهم.[٣]

ولم نصادف هذه الاشارة في الآثار المصرية لغاية الدولة الحديثة لما زادت العلاقة بين المصريين وجيرانهم غربا، سوءا بسبب تفاقم الصراع و شدته، فأمست الغارات الخاطفة أثناء الدولتين القديمة والوسطى حروبا طويلة منظمة، فظهر العداء سافرا بين الطرفين، مما تطلب الاستعانة بهذه الإشارة في هذا الوقت بالذات، وليس قبل ذلك. مما يجعلنا لا نستبعد احتمال معرفة الليبيين، أو بعضهم (المشواش) لها من قبل.

و يبدو أن أول من استخدمها حسب الآثار المصرية رجل ليبي ضد الفرعون سيتي الأول، كما نصادفها مرتين، استخدمها أصحابها ضد الفرعون رمسيس الثاني، و استخدمها أيضا زعيم المشواش "مششر" ضد رمسيس الثالث مرات عديدة كما تظهره الرسوم على جدران معبد مدينة هابو (الصورة رقم ٦).

هذا ويشير "وانريت" بأن هذه الاشارة انتشرت بين الفلستيين" Philistins"، وكانوا أول شعوب البحر استخدما له.ا في حين أن الشردن حلفاء الريبو والمشواش ضد مرنبتاح لم يستخدموها، وأن الفلستيين لم تكن لهم علاقة بالمشواش، ولم يتحالفوا معهم[٤] . لذلك فهو يستبعد ضمنيا أن يكون الشردن قد نقلوها للمشواش .

و من جانب آخر، أشار الباحث "هوارد" في دراسته المستفيضة لثقافة الصيادين بالصحراء الوسطى، والتي ترجع إلى العصور الحجرية بأن هؤلاء الصيادين عراة

---

[1] J.H. Bresated :ancient records of Egypt , Historical documents, Part IV,University of Chicago press,London,1906-1907. para 877- 878

[2] S.Gzell OP-cit.Tome VI P31.

[3] G.AWain Wright :The Meshwech in J.E.A n48,London,1962.P93.

[4] Wain Wright,ibid,P97

مزودين بذيل حيوان يُربط بالحزام من خلف. في حين يلتصق به من الأمام جراب العورة متسلحين بالأقواس والهراوات، يستخدمون الإشارة باليد على شكل حرف Y اللاتيني بثلاثة أغصان.[1]

ونصادف هذه الاشارة نفسها متجذرة في ثقافة أصحاب الرسوم الصخرية بالصحراء الوسطى، كما تبينه الصورة رقم ٧ .

ثالثا:المعدات الحربية :

منذ العصور الحجرية، و طوال العصور التاريخية استخدم سكان المغرب القديم كبقية الشعوب القديمة السلاح للحصول على غذائه أو للدفاع عن نفسه. ولقد تنوعت هذه الأسلحة تبعا للتطور الحضاري. ومن الأسلحة الأكثر بدائية يمكن ذكر الهراوة و العصا المعقوفة،Boomeran".

عصا الرماية (المعقوفة):

يعود أقدم أثر لها في المصدر المصري إلى النصف الثاني من الألف الرابعة ق.م، و هو أثر للملك العقرب (قبل توحيد مصر). ويحتفظ المتحف المصري بجزء منه تحت رقم .J.E 27434 و يسمى لوحة الحصون والغنائم، وتحتوي هذه اللوحة على الكتابة التصويرية التي تعدّ من أقدم الكتابات الدّالة على أرض التحنو، واتُخذت فيما بعد رمزا تقليديا يشير إلى ليبيا في النقوش المصرية، ومنها ختم الملك نعرمر (الأسرة ١) معبد الفرعون ساحورة(الأسرة الخامسة) .

و هذه العلامة هي رمز "البومرنغ" أي العصا المعقوفة [2]، وهي الأداة التي استخدمها سكان المنطقة كأداة صيد وبقي استخدامها ساريا. ويظهر على مقبرة "خنوم حتب" ببني حسن فرد من قبيلة التمحو يحمل في يده اليمنى عصا الرماية في عهد أمنمحات الأول الأسرة ١٢ (انظر الصورة رقم٠٩).ويظهر أحد جنود المرتزقة الليبيين، بجيش إمنتحتب الرابع (إخناتون) مسلحا بواحدة منها أيضا..

أما في مرتفعات الصحراء الوسطى فالعصا المعقوفة منتشرة بكثرة في مواضيع الرسوم الصخرية، و قد بدا صيادو المنطقة مسلحين بها، و تشهد على ذلك الصورة رقم ٠٨.

الأقواس:

استخدم أهل المغرب القديم الأقواس،وكانت بأشكال مختلفة منها المستديرة والمثلثة. و نصادفها في رسومات على جدران معبد الكرنك ترجع في تاريخها إلى عهد الفرعون سيتي الأول، لما حارب الليبيين. كما غنم بعد ذلك الفرعون مرنبتاح، ثلاثة آلاف

---

[1] P Huard : Contribution Saharienne a l'etude de questions interesant l'egypte ancienne ,BSFE,N45 ,Dardogne 1966,P15.

[2] J.Vercoutter : l'Egypte et la vallée du Nil ,Tome I « des origines a la fin de l'ancien empire de 12000 a 2000 A.c) ,Paris ,PUF, 1992, P196.

قوس[1]، وتظهر الأقواس أيضا على جدران معبد مدينة هابو في حروب رمسيس الثالث مع المشواش الذين كانوا يحملون جعابا لحفظ السهام خلف ظهورهم، و غنم رمسيس الثالث في حربه الثانية، ستة مئة وثلاثة أقواس[2].

وتبين لنا الرسوم الصخرية بأن استخدام الأقواس بين سكان المغرب القديم يرجع إلى العصور الحجرية، فقد عثر الباحثون على رؤوس سهام في مواقع نيوليتية مختلفة، منها موقع بريزينا (البيض جنوب وهران) وتبلبلة (غرب الساورة ورقان)..

كما تظهر رسومات الأقواس في مواقع بريزينا، رقان، التاسيلي.. وهي من النوع المستدير. أما النوع المثلث فيشبه الأقواس المصرية(الصورة رقم ٢).

الـــــدرع:

الدرع من الأسلحة الدفاعية التي يدافع بها المحارب عن نفسه، وإن كانت هناك مراجع تقول بأن الليبي كان ينقصه هذا النوع من السلاح[3] بينما يرى آخرون بأن الليبيين كانوا يحتمون من ضربات أعدائهم بجزء من ثيابهم، وذلك لغياب الأسلحة الدفاعية[4]. غير أن الجغرافي سترابون (٥٨ ق.م- ٢٥م)، يقول بأن الدرع الدائرية المصنوعة من الجلد لم يكن يفارق الليبي أبدا[5]..

وتؤكد الآثار المصرية ما قاله سترابون حيث تبين رسومات معبد الكرنك المحارب الليبي وقد استخدم الدروع والخوذات وقاية له من ضربات السيوف.

ويرجع استخدام الليبي الدرع إلى مرحلة العصور الحجرية، كما تثبته رسومات صخرية بضواحي بسكرة وأخرى جنوب وهران (الأطلس الصحرواي). وتبدو الدروع مصنوعة من جلد حيوان مثبت على إطار من خشب، ودروع وهران نوعان: دائري وبيضاوي.

وتجدر الإشارة في هذا المقام بإن الآلهة الليبية "تيت" كان يُرمز لها بدرع من جلد حيوان مثبت على إطار خشبي يتقاطع فوقه سهمان[6] . و لقد زين أفراد قبيلة الريبو أذرعهم و سيقانهم بمثل هذا الرمز (نيت) كما يظهر على جدران مقبرة الملك سيتي الأول منظر شعوب العالم الأربعة.(أنظر الصورة رقم (٠٣).

---

[1] J.H Breasted :OP-cit : Part III P 253.

[2] J.H Breasted Ibid Part IV P 66.

[3] WainWright : OP-cit, P 95.

[4] S.Gzell : Op-cit : Tome VI,P50

[5] Strabon: Geographica trad.Armédée tardieu ,paris :Hachette et c.Dentoie,edit 1986. livre 17,para 4,P473.

[6]- محمد عبد القادر محمد الديانة في مصر الفرعونية، القاهرةز دار المعارف،١٩٨٤،ص ٢٢٩.

السيوف:

إلى جانب الأسلحة المذكورة سالفا، استخدم سكان المغرب القديم أسلحة أخرى منها السيف، وإن كان الكلاسيكيون، ومنهم ديودور الصقلي (يوناني ٩٠-٢٠ ق.م) الذي يرى بأن الليبيين في الصحراء ما بين مصر والسرت لم يستخدموا السيف .

ويذهب تيت ليف Tite Live (روماني ٦٤ ق.م - ١٧ م) إلى أبعد من ذلك، ويخبرنا بأن الجندي النوميدي في الحروب البونيقية لم يتسلح بالسيف ولم يكن يعرفه.

أما من المتخصصين المعاصرين في تاريخ شمال افريقيا القديم، و منهم قزال فيجزم بأن الاستخدام الفعلي للسيف في شمال افريقيا يعود إلى القرن السادس الميلادي فقط[1] .

في حين أننا نصادف في آثار مصرية من القرن الثالث عشر ق.م، وأخرى من القرن الثاني عشر ق.م، تشهد بأن الفرعون مرنبتاح استولى على ٩١١١ سيف برونزي من سيوف المشواش.[2] بينما استولى الفرعون رمسيس الثالث فيما بعد من أعدائه المشواش على نوعين من السيوف: ١٢٩ سيفا طول الواحد منها أربعة أذرع و١١٦ سيفا طول كل منها ثلاثة أذرع[3]،وقد كانت هذه السيوف الطويلة ذات نصل معدني و مقبض من خشب، و كان استخدامها قاصرا على المشواش دون غيرهم من القبائل الليبية، كما تبيّنه نقوش جدران معبد مدينة هابو.[4](أنظر الصورة رقم ١٠)

ويرى فريق من الباحثين بأن المشواش قوم من البدو الرّحل، يسكنون الصحراء،و قد تحصلوا على السيوف الطويلة من خارج بلدهم، ومن أقوام أكثر تحضر منهم كما يذهب إلى ذلك كل من "بيتس" و" هولتشر" .

ويفسّر "وانرايت" بأن الصلة بين الليبيين و شعوب البحر كانت وثيقة إبان حروبهم مع فراعنة الأسرتين المصريتين ١٩ و ٢٠، وأنهم أخذوا من شعوب البحر مهارة ركوب الخيل و استخدام السيوف الطويلة [5] .

وينفي "بيتس" أيضا عن الليبيين إمكانية صنع مثل هذه السيوف، بسبب ندرة المعادن (البرونز) في أوطانهم، و أنهم كانوا عاجزين على إصلاح ما تحصّلوا عليه من حلفائهم شعوب البحر.و هذا ما يفسّر قلّة عدد السيوف التي غنمها رمسيس الثالث مقارنة بما غنمه مرنبتاح قبله.[6]

أما "قزال" فيربط معرفة و استخدام سكان المنطقة لمعدن البرونز بنزول البحارة الفينيقيين على سواحل شمال إفريقيا[7] .

---

[1] S.Gzell : OP-cit, TomeVI,P66

[2] J.H.Breasted : OP-cit,Part III,p 253.

[3] Edgarton & Wilson: Historical records of Ramses III,Chicago 1936, PP 64-65.

[4] J.H.Breasted : OP-cit,part IV, P66.

[5] Wainwright :OP-cit,P94-95.

[6] O.Bates : the eastern libyans,P143.

[7] S.Gzell,Opcit,Tome I ,p212.

وبعد عرض آراء بعضهم نلاحظ بأن هؤلاء الباحثين قد ربطوا بين الاستخدام المتأخر للقبائل الليبية للسيوف في وقت تزامن و استخدامها من طرف شعوب البحر، و نستشعر أيضا نوعا من التحامل على شمال إفريقيا في تفهم لوجود عصر برونز واضح المعالم به .

إذا عجزت رسومات المحاربين المشواش المدججين بالسيوف والخناجر، على جدران معبد هابو على إقناعهم – الذين أرجعوا هذا الاستخدام لاستعارة من شعوب البحر– فإن هناك من الدلائل سواء في الآثار المصرية أو الرسوم الصخرية ما يخالف هذا الرأي:

– هناك منظر على مقبرة " بني حسن" في عهد "أمنمحات الأول" الأسرة ١٢ (القرن العشرون ق.م)، به قافلة من التمحو الليبيين مهاجرة إلى مصر . و يبدو الرجل يحمل على كتفه الأيسر سيفا معدنيا غير طويل، وتتبعه زوجته تحمل طفلها على ظهرها.[1] (الصورة رقم ٩)

– كما يوجد نص يعود في تاريخه إلى عهد الفرعون أمنحتب الثالث(الأسرة ١٨ القرن الرابع عشر ق.م)، يذكر قوم المشواش كصناع معدن، ومربّي ماشية سمينة لا تنشأ عند الرعاة في بادية و إنّما في أرض بها ماء و كلأ كثير[2].

– أما في الرسوم الصخرية، فهناك لوحات واضحة كل الوضوح،في مرتفعات الأطلس الصحراوي بمراكش، لفؤوس و خناجر و رماح كله من المعدن،يُؤرخ لها بفترة مابين ١٧٠٠ و ١٤٠٠ ق.م [3](أنظر الصورة ١١)، بعيدا عن نطاق تحرك شعوب البحر، وقبل ظهوره على شواطئ شمال إفريقيا. كما أسفرت التنقيبات الأثرية على أعداد كثيرة من الأدوات المعدنية في كل أنحاء المغرب القديم ...

نخلص مما سبق ذكره بأن المعادن ومنها البرونز، وان تأخر ظهورها في شمال افريقيا فإنما كان سابقا لظهور شعوب البحر على الساحة، و كان ظهوره بعيدا عن مجال تأثيرهم، كما تشهد على ذلك الرسوم الصخرية...

أما النقطة الثانية في هذا الافتراض، فهو استعارة الليبيين للسيوف الطويلة من حلفائهم شعوب البحر.

– إن الاحتكاك الوحيد بين شعوب البحر وقبائل الريبو والمشواش الليبية، حدث في حربهم مع الفرعون مرنبتاح، فشعوب البحر وبعد أن أخضعوا جزيرة كريت إتجهوا جنوبا. و كان الشاطىء الافريقي عند برقة أقرب إليهم حوالي ٢٨٠ كم. ومنها نشأت

---

[1] –P.E.NewBerry : Beni hassan , part I,London 1893,planche 45.

[2] A.Nibbi :Lapwings and Libyans in Ancient Egypt,Oxford,B.O.Card press,1986..P77.

[3] G.Camps, aux origines de la Berberie « monuments et rites runereres »Paris :Arts et metiers Graphiques,1961 , P446.

علاقات ودية بين هذه الشعوب وبين قبيلة الريبو[1] . و انضم خمس قبائل منهم إلى القبائل الليبية و هاجموا مصر في العام الخامس من حكم مرنيتاح تحت قيادة "مري بن دد" زعيم قبيلة الريبو. و لم يدخل بعد ذلك شعوب البحر في أي حلف مع الليبيين، فظهورهم على جدران معبد مدينة هابو إنما كان بصفتهم مرتزقة ضمن الجيش المصري[2] ..

- في الحربين الليبيتين ضد مرنبتاح ثم رمسيس الثالث، تظهر السيوف الطويلة في أيدي المشواش و ليس في أيدي الريبو. علما بأن نزول شعوب البحر كان في موطن الريبو، وانضمامهم إلى حلف القبائل الليبية» إنما كان يتزعمه رئيس الريبو وليس رئيس المشواش.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو، لماذا كانت هذه السيوف الطويلة في أيدي المشواش وهم أبعد القبائل على حدود مصر*، الذين وصفهم بريستد بأنهم قوم متمدنون، ماهرون في الفنون الحربية، مسلحون جيدا.[3]

وفي الختام نستخلص بأن هذه الدلائل تشير في مجموعها إلى أن المشواش كانوا صناع معدن(كما أشارت إلى ذلك النصوص المصرية). و أن موطنهم البعيد يحتوي على المعادن أو على اتصال بأصحاب معادن غير شعوب البحر، و إنما عن طريق شبه جزيرة أيبيريا، حيث أقام الفينيقيون لاحقا مستوطنة قادش، و كذلك بموربطانيا والنيجر، موطنا النحاس...

إنّ الاستعارة عن شعوب البحر كانت محدودة في شكل السيف و طوله فقط. وكانت بطريقة غير مباشرة،بمعنى أن المشواش قد استعاروه عن المصريين الذين أخذوه بدورهم عن شعوب البحر. وهذا في نظري ما يفسّر عدم استخدام الريبو للسيوف الطويلة ..

العربة:

أما النوع الآخر من الأسلحة التي عرفها و استخدمها قدامى الليبيين فهي العربة. وتشهد آثار مدينة هابو لأول مرة في تاريخ العلاقات الليبية المصرية بأن الفرعون

---

[1] J.Wislon : The Libyans and the end of Egyptian empire in AJSL,n47,Chicago,1935.P75.

[2] J.Wilson :Ibid,P77.

* هناك شبه اجماع بين علماء المصريات بأن موطن المشواش يقع غرب بحيرة تريتوليس (شط الجريد بتونس حاليا)

[3] - ج.هـ.بريستد:تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي،تر: حسن كمال،ط٢،القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٧،ص ٣٨١. و أيضا ألن جاردنر : المرجع السابق، ص ٣١٢.

رمسيس الثالث قد غنم في حربه الثانية ضد القبائل الليبية بزعامة المشواش ٩٢ عربة[1] و ١٨٤ من الخيول[2]، بمعنى أن هذه العربات كان يجرها زوج من الخيول.
ويشهد هيرودوت في القرن الخامس ق.م، بأن الجرامنتيين كانوا يتعقبون الاثيوبيين التروقلوديت على عربات تجرها أربعة من الأحصنة. أما نساء " زواش" Zaueces جيران النماكسيين (شط الجريد – تونس) فتقدن العربات الحربية[3] (الصورة رقم ١٢)
وإذا رجعنا إلى متحف الهواء الطلق في كل من مرتفعات الأهاغار والتاسيلي وبعض مرتفعات الأطلس الصحراوي، نجد رسومات العربات بأعداد كثيرة، وخاصة النوع الذي أطلق عليه "هنري لوت" "العربات الطائرة التي تسابق الرياح".(الصورة رقم ١٣)
وقد انكب على دراسة هذه الرسومات عدد من المتخصصين و جمعوها في مرحلة Les cabalins (العربات) و تليها مرحلة الخيالة Equidiens ، ويؤرخ للأولى فيما بين ١٥٠٠-١٢٠٠ ق.م.

تبين رسوم العربات في الصحراء الوسطى نوعان من العربات: واحدة تجرها أربعة أحصنة (كما وصفها هيرودوت الصورة ١٢)، أو أربعة ثيران، وهي ثقيلة الوزن، استخدمها أصحابها لنقل البضائع و يمتطيها أكثر من راكب. و عربات أخرى يجرها زوج من الأحصنة كما ورد في نصوص مدينة هابو، وهذه خفيفة الوزن ذات عجلتين يمتطيها شخص واحد قد تكون استعراضية يمتطيها الحكام ونبلاء القوم أو تكون حربية أو للتدريب...
ويظهور أصحاب هذه العربات في الصحراء الوسطى، ظهرت معهم معالم مقومات حضارة جديدة غيّرت من أوضاع المنطقة. لذلك أثارت هذه العربات وأشكالها وأنواعها ومجال استعمالها، وخاصة أصلها ومصدرها جدلا بين الباحثين. فربطها بعضهم بظهور المعادن وظهور شعب جديد في المنطقة، لأن أصحاب هذه العربات كانوا بيض البشرة زرق العينين، مسلحين برماح رؤوسُها معدنية، وسيوف و خناجر[4]
ويعتقد لوت "بأن أقواما شمالية (كريت) قد نقلوا لسكان شمال إفريقيا الدروع المستديرة و الرماح المعدنية والحصان والعربة.[5] ويشاطره هذا الرأي كثيرون منهم "بيتس" الذي يرى أيضا بأن الليبيين قلدوا الكريتيين حتى في طريقة قيادة العربات الطائرة التي تظهر بوضوح في الرسم المكيني.[6]

---

[1].Breasted×OP-cit,Part IV,P 66
[2] Edgarton & Wilson : Op-cit,P65.
[3] Herodote ,OP-citPart IV,para 189,194
[4] H.Lhotte : a la decouverte des Fresques du Tassili,Arthaud, Paris 1973,pp 137-138.
[5] H.Lhotte, les Touaregs du Hoggar,Payot,Paris 1955,P102.
[6] O.Bates,OP-cit,P143 & Wainwright : Op-cit P94.

- غير أن هناك فريق ثان و على رأسه المتخصص في موضوع العربات في الصحراء J.Spruyte" الذي تمكّن من إعادة بناء نموذج لعربة من الخشب، استنادا إلى الرسوم الصخرية الكثيرة العدد، المتنوعة الأشكال، دون استخدام قطعة معدنية واحدة، وقدكانت مصطبتها مصنوعة بسيور جلدية مظفورة.[1].

و بالتالي فعربات الصحراء الوسطى لا يتطلب صنعها استخدام المعادن (البرونز).

- لقد تبيّن من خلال الوثائق الإيجية أن الوثبة الطائرة Le galop Volant كانت وضعية الأحصنة بمفردها دون أن تكون مشدودة إلى العربة، كما هو عليه الحال في عربات الصحراء الوسطى.[2]

- وهذا شيخ المؤرخين هيرودوت يعترف بأن الليبيين في برقة علّموا الإغريق كيفية قيادة عربات تجرها أربعة أحصنة[3]. وبالتالي نتبيّن مدى ضعف حجج الفريق الأول.

وهناك من المختصين من يعتقد بأن العربات الليبية ثمينة ومكلفة، بالنسبة لشعوب بزبرية – حسب رأيهم-وأنها كانت هدايا قدمها لهم المصريون عربون محبة لإسكاتهم وللحفاظ على الأمن.[4]

والحقيقة أن قدماء المصريين قد استخدموا العربة من النوع الذي يجرّه حصانان ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة، بعد أن أدخلوا تعديلات كثيرة على عربة أعدائهم الهكسوس. وما يفرق العربة المصرية عن عربة الصحراء الوسطى أن العجلة بها ستة محاور (وكانت أقل في وقت سابق)، في حين عجلة عربة الصحراء بها أربعة محاور* فقط. كما أن العربة المصرية يمتطيها شخصان، قائد العربة و إلى جواره جندي، في حين يمتطي عربة الصحراء شخص واحد.

ونتبيّن من نموذج العربة المصرية الموجودة بالمتحف المصري، وكذلك تلك المرسومة على جدران معابد الكرنك ومدينة هابو، أنه يدخل في تركيبها المعادن، عكس العربة الصحراوية التي صُنعت من الخشب فقط.[5]

و ما يمكن استخلاصه هو أن الرسوم الصخرية في الصحراء الوسطى عموما تبيّن لنا بأن العربة – على ما يبدو- أصيلة في المنطقة، تختلف عن العربة المصرية و

---

[1] G.Camps : les Berberes ,p 47 & Strietter , et M.Tauveran,Op-cit,P120.

[2] Desanges : les proto-berberiens, P 317.

[3] Herodote,OP-cit,Tome IV,Para 189.

[4] WainWright : Op-cit, P 93.

*-تبدو عربة زعيم المشواش "مششر" في حربه مع رمسيس الثالث على جدران معبد مدينة هابو بعجلة بها ست ششوكات و يبدو واضحا، كما يعتقد إدغارتون، و ويلسون بأنها كانت في الأصل أربعة فقط، و أدخل عليها تعديل فيما بعد.عن

: -Edgarton &Wilson : Op-cit, planche 75,P66. -

[5] Faulkner :Military organisation in J.E.A ,n39 London,1953..& Michel Guay « l'armée égyptienne du nouvel empire. » www.egypteeternelle.net/ on line.

الإيجية على حد سواء[1]؛ فهي خشبية بالكامل، خفيفة الوزن مما يجعلها تبدو طائرة، ومصطبتها ضيقة مصنوعة بالجلد ولا تقل إلا شخص واحد. الأمر الذي جعل "سبريت" يعتقد بأنها كانت رياضية ولتدريب الأحصنة* وليست حربية، لأن السائق كما تظهره الرسومات يمسك، بلجام الحصان في يده، ولا يمكنه استخدام أسلحة. كما تنفرد عربة الصحراء الوسطى في تقنيات ربط و شد العربة بالحصان.

هذا وقد أبدع الليبيون تقنية جديدة تتمثل في كدن قضيب الجر،التي لم يثبت استخدامها خارج المغرب القديم، والتي استعملت أيضا لترويض الحيوانات وتدريبها[3]. (الصورة رقم ١٤)

إن احتمال حدوث تأثيرات وارد ولا نستطيع نفيه بالكامل، لان المنطقة كانت مفتوحة على جيرانها. إلا أننا نرجّح التأثيرات المصرية التي لم تنقطع الصلة بينهما، منذ الأسرة ١٨، تاريخ استخدام العربة في مصر والأسرة العشرين تاريخ استخدام المشواش للعربة.

ويمكن تفسير الاختلاف بين العربيتين لضرورة اقتضتها تضاريس كل منطقة.*

أما الاتصال الحقيقي، بين شعوب البحر بالليبيين، فقد كان بعد تأسيس مدينة برقة منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

أما عن سائقي هذه العربات بيض البشرة ذوو العيون الزرقاء (الشماليون) – كما يسميهم بروي Breuil، ولوت– [4] فأرى بأن الأمر لا يتعدى توزيعا وانتشارا جديدا للأقوام الليبية القديمة في الصحراء نتيجة ظروف سياسية. فهؤلاء وإن ظهروا على الرسوم الصخرية بأسلوب رمزي*، إلا أنه يبدو واضحا أنهم حافظوا على ميزاتهم مثل الريش على الرأس وسلاحهم الرئيسي المتمثل في الدرع الدائري، والرمح والخنجر، ثم في فترة لاحقة تزودوا بالسيف واستخدموا العربات. وهذه كلها مواصفات المشواش كما تبينهم الآثار المصرية.

وأعتقد بأن إنتشار هذه العربات والفرسان في الصحراء الوسطى، يمثل انحسار و تراجع الليبيين بعد الفشل و الهزيمة التي ألحقها بهم الفرعون مرنبتاح أو رمسيس الثالث بعده..

---

[1] G. Camps : les Berberes.P 47.

* يعتقد جون سبرايت، بأن سكان التاسيلي، كانو يدربون الأحصنة لفائدة الفينيقيين....

[3] G.Camps « Jean Spruyte , attelages antiques libyens .. »www.remmm.revues.org. le 14/10/06.

*كما هو الحال في عربة " مششر على مدينة هابو

[4] Wilcox : Op-cit, P44.&G.Camps : Le Berberes ,P 46.

* الأسلوب الطبيعي يهتم الرسام بالموضوع فيرسمه بكامل تفاصيله، اما الأسلوب الرمزي فيحتفظ الرسام بالأساسيات و يسقط التفاصيل .

الخاتمة:

الحقيقة أننا نقر بوجود فجوات و ثغرات كثيرة في المصدر المصري، وقد يكون السبب أنه لم يهدف في المقام الأول تسجيل جوانب من تاريخ غيرهم من الشعوب المجاورة، و إنما جاء ذلك متضمّنا تسجيلهم لجوانب من الحياة المصرية نفسها و منها علاقاتها بجيرانها في الغرب.

كما أن الوثائق المصرية تتكلم عن الوقائع من جانب واحد، جانب الذين دوّنوا وسجّلوا تلك الوقائع،و معلوم أن هؤلاء ما كانوا ليتحرّون في عمليات التدوين و التسجيل طالما أن العملية في حدّ ذاتها من باب التخليد والتمجيد و ليست من أجل كتابة التاريخ.

و بهذه الصورة، فالمصدر المصري(الآثار) أهم من الوثائق التاريخية التي قد تؤثر فيها ذاتية المؤلف. إذن فنحن أمام وثائق أثرية محايدة إلى حدّ ما..

إن ما ورد على الآثار المصرية القائمة منها والمنقولة، حول الليبيين، يغطّي جزءا مهمّا من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ في المغرب القديم،في غياب وثائق أصيلة.

وفي الأخير نأمل أن تساهم الرسوم الصخرية - كمصدر خام خلفه لنا سكان المنطقة - في تسليط بعض الضوء على هذه المرحلة. ولكي تكون أكثر نفعا وأجدى وجب الانكباب عليها و الاستعانة بها.

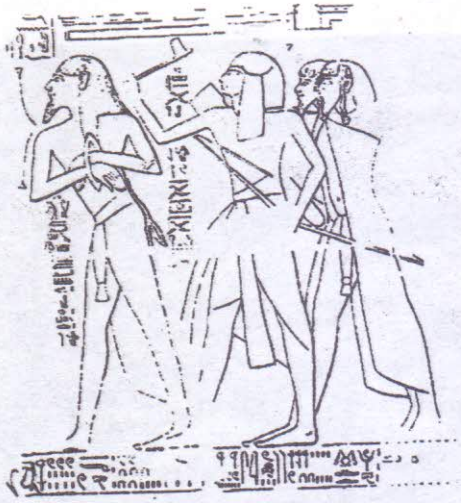

الصورة رقم ١: زعيم المشواش "مششر" في الأمام و إثنان من رجاله في الخلف، يرتدون جراب العورة.
(معبد مدينة هابو)

الصورة رقم ٢: ليبي يرتدي جراب العورة وعلى رأسه ريش مسلح بالقوس.
(تاسيلي – أن-أجار)

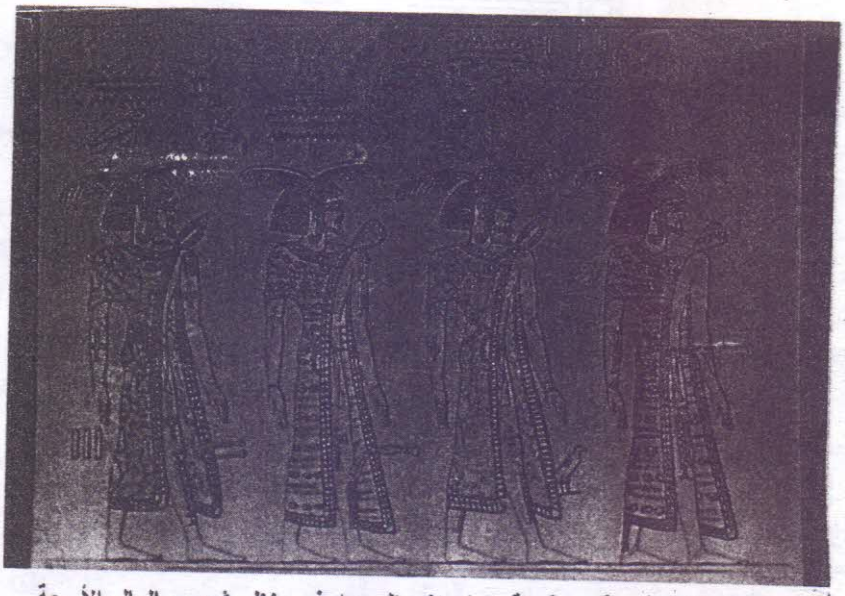

الصورة رقم٣: أربعة من قبيلة المشواش ظهروا في منظر شعوب العالم الأربعة
(مقبرة الفرعون سيتي الأول)

الصورة رقم ٤: أفراد و على رأسهم ريشتان مثبتتان بشكل منحرف، و لهم لحي مدببة، و يشبعون الصورة أعلاه
(موقع تاهيلاهي تاسيلي أن أجار)

الصورة رقم ٥: رجلان على رأسيهما ريشتين، لأحدهما لحية مدببة،يلبسان عباءتين من جلد حيوان، تشبه عباءة الكتان عند مشواش مقبرة سيتي الأول السابقة ذكرها.

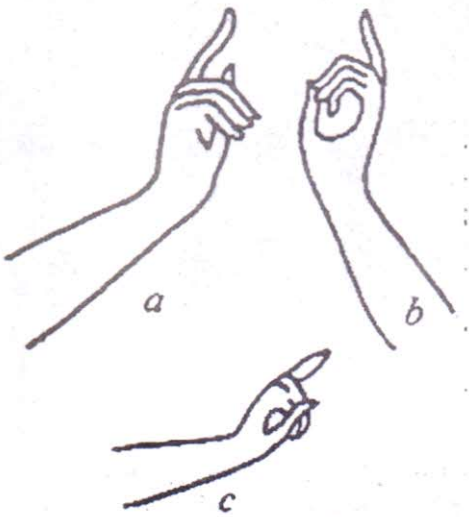

الصورة رقم ٦: إشارة إبعاد الشر، عند المشواش.

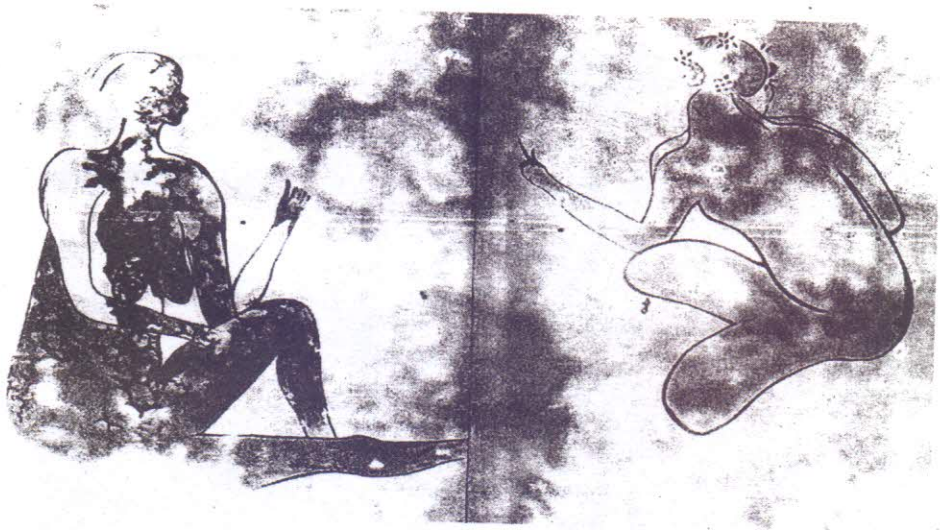

الصورة رقم ٧:رجل و امرأة يستخدمان إشارة إبعاد الشر
(تاسيلي أن أجار)

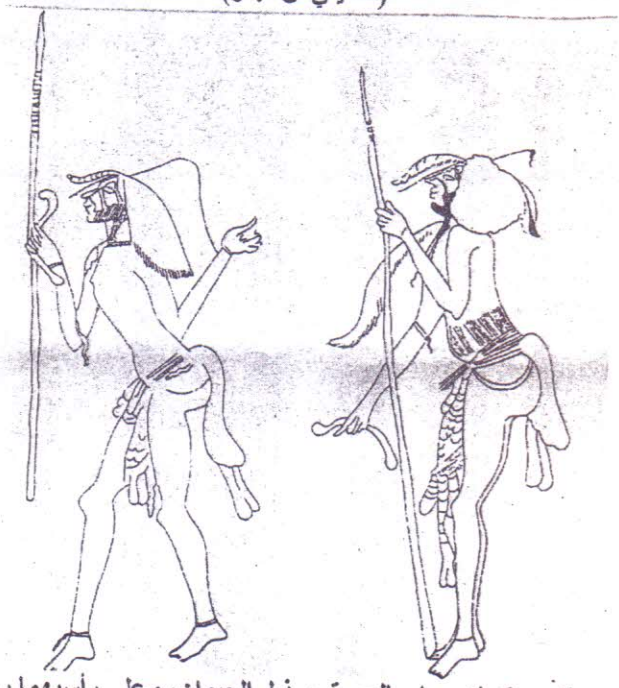

الصورة رقم ٨: رجلان يرتديان جراب العورة، و ذيل الحيوان، وعلى رأسيهما ريش، مسلحين بعصا الرماية، بنفس مواصفات الليبيين على الآثار المصرية (تاسيلي أن أجار)

الصورة رقم ٩: أفراد من قبيلة ليبية تدخل مصر، و يبدو الرجل مسلحا بالعصا المعقوفة في يده اليمنى، والسيف على كتفه الأيسر (مقبرة خنوم حتب -بني حسن) الأسرة المصرية الثانية عشر

الصورة رقم ١٠: جنديان من المشواش مسلحين بسيفين طويلين (معبد مدينة هابو)

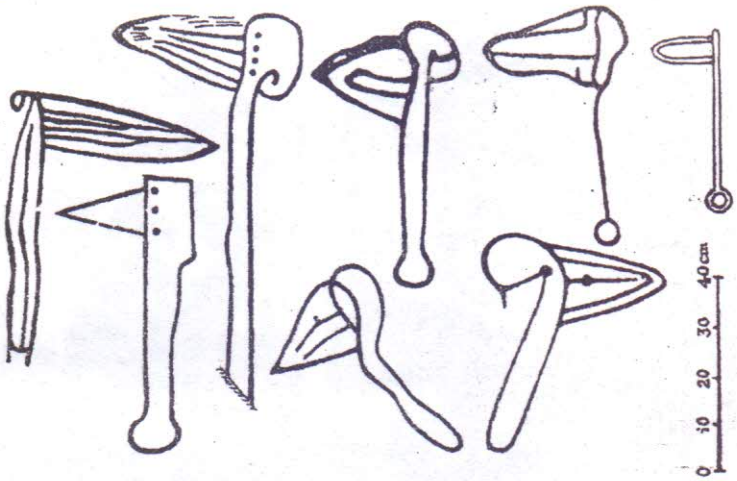

الصورة رقم ١١: أسلحة معدنية جنوب مراكش

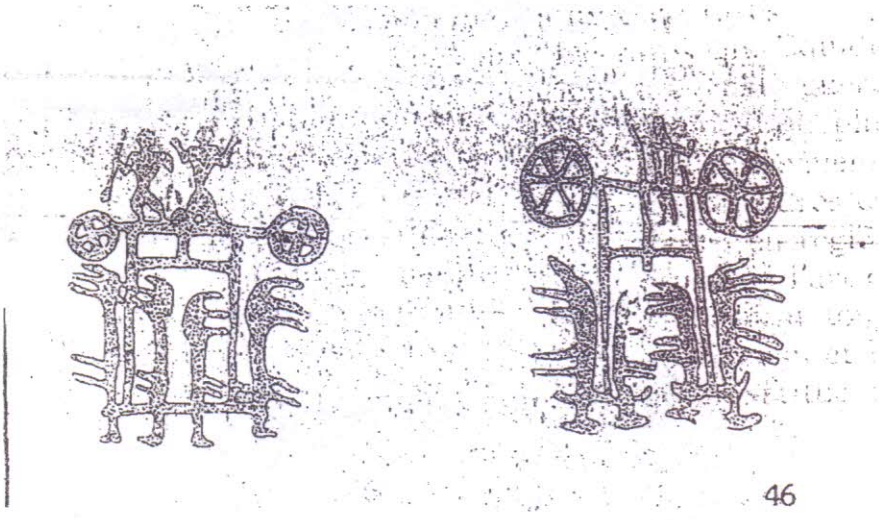

الصورة رقم ١٢: عربات تجرّها أربعة أحصنة كما وصفها هيرودوت
(منطقة فزان)

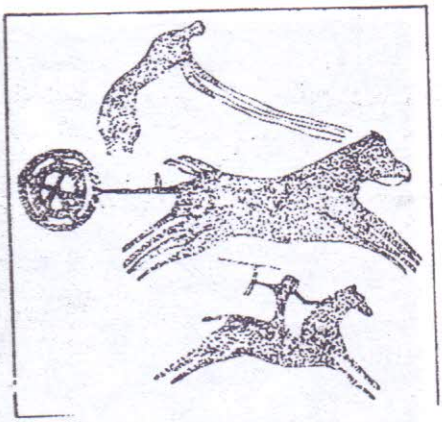

الصورة رقم ١٣:العربات الطائرة
(تاسيلي أن أجار)

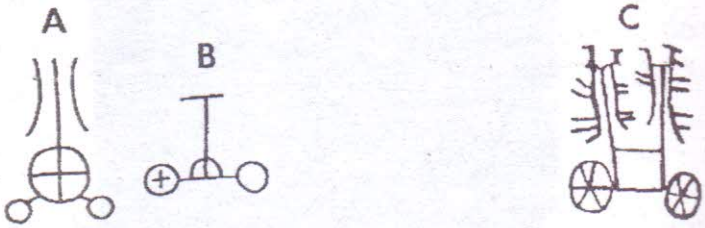

شكل رقم ١٤: أشكال متنوعة لطريقة كدن العربات

-أ-

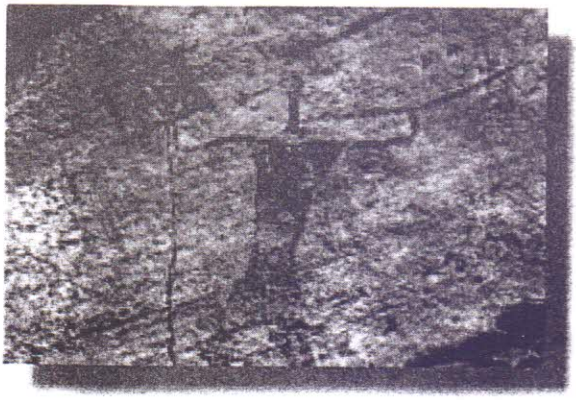

-ب-

الصورة رقم ١٥: شكل أ و ب يوضحان درعين أحدهما دائري و الآخر مستطيل.

مصادر اللوحات:

لوحة رقم ١ عن:

-Wain Wraight,The Meshwech,P90.

لوحة رقم ٢ عن:

- Lhote & Breuil : L'age de la pierre, P 12.

لوحة رقم ٣ عن:

A.Nibbi: Lapwings and Libyans PL35 -

لوحة رقم ٤ عن:

-Strietter & Tauveran . Mileux, Hommes,et Techniciens, P66 fig 6

لوحة رقم5 عن:

- Strietter & Tauveran . Mileux, Hommes,et Techniciens, P66 fig 7

لوحة رقم ٦عن:

-Wain Wright :The Meshwech,P 97 .

لوحة رقم ٧ عن:

-L.Lhote,a la decouverte des fresques du Tassili P135

لوحة رقم ٨ عن:

-Strietter & Tauveron :Milleux,Hommes et Techniques P 66 ,fig 7.

لوحة رقم ٩ عن:

-P.E.Newberry :Beni Hassan part I,PL45.

لوحة رقم ١٠عن:

-WainWright :The Meshwesh ,P96.

لوحة رقم ١١عن:

-G.Camps, Aux origines de la Bèrbérie,P150.

لوحة رقم ١٢ عن:

-A.R.Wilcox :The Rock art of Africa .P39.

لوحة رقم ١٣ عن:

-L.Lhote :la découverte des fresques du Tassili,P44.

لوحة رقم ١٤ و١٥:

-www.ankhonline.com/histoire2.htm